

أضواء على

المذاهب الهدامة

الماثونية

الشيوعية

الاشتراكية

القومية

عبد القادر شيبه الحمد

أضواء على المذاهب الهدامة

الماسونية

الشيوعية

الاشتراكية

القومية

أضواء على المذاهب الهدامة

الماسونية

الشيوعية

الاشتراكية

القومية

من مقرر طلاب الشهادة العالمية بكلية الشريعة
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



عبدالقادر شيبه الحمد

ح عبد القادر شيبية الحمد، ١٤٣٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، عبد القادر شيبية

أضواء على المذاهب الهدامة. / عبد القادر شيبية الحمد. - الرياض، ١٤٣٣هـ

٨٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٩٧٣٠-٢

١- الغزو الفكري ٢- الإسلام - دفع مطاعن ٣- الإسلام والمذاهب أ.العنوان

ديوي ٢١٩,٩ رقم الإيداع: ١٤٣٣/٣٣٦٨

الطبعة الأولى

٢٠١٢م / ١٤٣٣هـ

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف



المحتويات

٩ المقدمة
١١ الماسونية
٢٥ الشيوعية
٢٦ مزدك
٢٩ كارل ماركس
٣٥ المذهب الماركسي
٤٥ المخططات الرئيسة لقيام المجتمع الشيوعي
٦٧ بين الشيوعية والاشتراكية
٧١ القومية
٧٥ بداية ظهور الشعوبية والقومية
٧٩ الخاتمة



- مقدمة -

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه،
ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونصلي
ونسلم على خيرة ربنا من خلقه محمد نبي الله المصطفى
وحبيبه المرتضى ورسوله المجتبي، من بعثه الله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد:

فهذه مذكرة من مقرر طلاب الشهادة العالية بكلية
الشريعة بالجامعة الإسلامية، قصدت فيها إلى بيان أصول

بعض المذاهب الهدامة على طريقة مختصرة وأسلوب سهل، وآمل أن تكون أحد المصايح الكاشفة لجذور الفساد، ودعاة الإلحاد، حتى يتمكن الهداة بالحق من هدم باطل المبطلين، ورد شبه المضللين، على حد قول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه



عبد القادر شيببة الحمد

- الماسونية -

الماسونية جمعية سرية يهودية الأصل، ومعنى ماسون أو فرمسون: (البناءون الأحرار).

وقد أسس المحفل الأعظم لهذه الجمعية لأول مرة في بريطانيا عام ١٧١٧م، وقد زعم دعائها أنهم يهدفون إلى مبادئ ثلاثة هي: الحرية، والإخاء، والمساواة.

ومقصودهم من الحرية في الواقع أن يتحرر الناس من أديانهم، وأن يرتكب الإنسان ما شاء له هواه دون رادع أو زاجر، وأن يخالف جميع ما تأمر به الشرائع، وأن تفعل

المرأة ما شاءت من الزيغ والرجس والفساد والتهتك
والانحلال تحت ستار الحرية.

كما أن مقصودهم من الإخاء هو محاربة روح التمسك
بالدين، وأنه لا فرق بين يهودي ونصراني ومسلم ومجوسي
وبوذي وشيوعي؛ فالناس كلهم إخوان، وعليهم أن
يجاربوا أي استمساك بأي دين، ويسمون من يلتزم مبادئ
دينه بأنه متعصب مذموم.

كما أن مقصودهم من المساواة كذلك هو ملء قلوب
الفقراء بالحق والضعيفة ضد الأغنياء، وملء قلوب
الأغنياء بالحق والضعيفة على الفقراء.

وبعد مائتي سنة تقريبا من وجود المحفل الأعظم
الماسوني في بريطانيا انتشرت المحافل الماسونية في العالم
ولا سيما في فرنسا وروسيا وأمريكا والهند.

حتى صار في أمريكا وحدها عام ١٩٠٧م أكثر من
خمسین محفلاً ماسونياً رئيساً، تتبعها آلاف المحافل.

ثم نشرت المخابرات الإيطالية عام ١٩٢٧م في عهد
موسوليني أنها اكتشفت ٣٦ ألف جمعية ماسونية في العالم
يتبعها ملايين الناس .

وقد عمد الماسون إلى اصطيد رجال ونساء إلى فخاخهم
من جميع الديانات، ممن يأملون فيهم أن يخدموا أهدافهم في
بلادهم، فإذا تمت تجاربهم على العضو وأيقنوا أنه يستطيع
أن يكون عبداً مطيعاً لمبادئهم وأغراضهم بذلوا حوله كل
ما يستطيعون من وسائل الدعاية لتركيته.

وصار له عندهم وصف كسكرتير أعظم أو أستاذ أو
قطب أو قطب المحفل الماسوني الذي ينتمي إليه، ولا يصل
العضو إلى هذه المراتب إلا بعد اختبار شاق، فهم في بادئ
دعوة العضو وبعد أن يدرسه نفسياً يدخل العضو في
سرداب طويل مليء بالجماجم الإنسانية المعلقة بالسيوف
والخنجر التي تكاد تمس رأسه وهو مار من تحتها، ويقال
له: هذه رؤوس من باحوا بالسر .

ثم تعصب عيناه ويتسلمه رجلان قويان نشيطان ويضعان حبلاً على عنقه كأنهما يريدان شنقه وهو مستسلم لهما، ثم يدفعانه إلى غرفة سوداء، فيرفعان غطاء عينه ليرى صندوقاً ثم يدخلانه في الصندوق وحبل المشنقة في عنقه، إذا وجدوا منه استسلاماً كاملاً فعلوا به كقوم لوط، فإذا لم يجدوا منه أي مقاومة اعتبر ناجحاً وأعطى الدرجة التي يستحق.

وقد بدأ الماسون في تشكيل هيئات أخرى لتظهر في صورة غير ماسونية كان من بينها الشيوعية الحديثة والاشتراكية والصهيونية.

فهذه المذاهب الثلاثة تلتقي مع الماسونية في أغراضها وأهدافها، وإن تشكلت بأشكال مختلفة؛ ولذلك رأينا شعار الشيوعية من (المنجل) شبيهاً بشعار الماسونية من المطرقة والسندان وآلات الهدم والبناء.

ولذلك رأينا دعاة الاشتراكية في البلاد العربية مع اختلافهم يرددون نفس شعار الماسونية فهتافهم: الحرية

والوحدة والاشتراكية، وهي في الحقيقة عين ما يردده الماسون: الحرية والإخاء والمساواة.

فالهدف الأول لم يختلف حتى في الاسم، والهدف الثاني معناه عندهما واحد، وكذلك الهدف الثالث.

والماسون يتفقون مع الصهيونية في أنها يعملان حقيقة لإعادة بناء هيكل سليمان، كما أن الأفعى رمز للماسونية والصهيونية جميعاً، وقد تمثل ذنبها في القدس ورأسها يدور لبتلع العالم ويرجع ليلتقي بالذنب بعد أن تقضي هذه الأفعى على مقدرات جميع الأميين.

وقد قسمت الماسونية جمعياتها حسب مخططاتها وأغراضها، فبعض هذه الجمعيات لإثارة الطلاب، وبعضها للاستيلاء على أفكار الصحفيين والكتاب والمؤلفين، وبعضها لإثارة العمال والفلاحين، وبعضها مختصة بالعسكريين، وبعضها لإحداث الانقلابات والفتن والقلاقل في الدول إلى غير ذلك.

فالماسون وراء الثورة الفرنسية، وهم وراء مذبحه استنبول التي ذبح فيها ٦٨ ألف مسلم عام ١٩٠٨ م، وهم كذلك وراء حرب البلقان عام ١٩١٢ م، والتي أثارته كذلك الحرب العالمية الأولى، وهم كذلك مدبرو الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد، وهم كذلك مزيلو الخلافة الإسلامية.

كما أن الماسون قد يؤيدون دعوات ليسوا في الأصل منشئها إذا وجدوا أن هذه الدعوات تخدم بعض أغراضهم ولو إلى حين.

ولذلك أيدوا داروين في نظرية التطور والارتقاء، وبذلوا كل دعاية ممكنة لترويج مذهبه الفاسد؛ لأنه يحدث بلبلة ضد الأديان؛ كذلك أيدوا دعاة القومية العربية مع أنها في الواقع مؤسسة نصرانية كما سيجيء، ومع أنها كذلك تخالف بعض مبادئهم ضد الأميين، لكنها لما كان ترويجها يحطم روح الدين في نفوس أهلها ويؤدي إلى محاربة الأديان قام الماسون بالترويج والدعاية لها.

وكان من أعظم وسائل الماسون هو الاستيلاء على وسائل الدعاية في العالم من الصحافة والإذاعة والكتابة وغيرها من شؤون الإعلام.

كما أن من أعظم وسائلهم الاستيلاء على المناصب الحساسة في إدارة الدول بوضع خبراء من اليهود أو مؤيديهم في تلك المناصب، وإليكم بياناً بأسماء ووظائف بعض هؤلاء كما جاء في كتاب أسرار الماسونية للجنرال جواد رفعت آتلخان:

(مكتب السكرتارية لهيئة الأمم المتحدة، وهو أهم شعبة فيها)

يهودي	رئيس قسم التسليح	الدكتور أج اس بلوك	(١)
يهودي	رئيس الأمور الاقتصادية	أنتوني كولت	(٢)
يهودي	المشاور الخاص للشؤون الاقتصادية	أنش كارروزنبرغ	(٣)
يهودي	رئيس قسم الميزانية	دافيد وفتراوب	(٤)
يهودي	رئيس قسم الخزائن والواردات	كارل لا جمتي	(٥)
يهودي	معاون سكرتير الشؤون الاجتماعية	هنري لانكير	(٦)

يهودي	رئيس قسم المواد المتبادلة	الدكتور ليون استيننك	(٧)
يهودي	رئيس قسم حقوق الإنسان	الدكتور شيكويل	(٨)
يهودي	رئيس دائرة مراقبة البلاد غير المستقلة	أج أي ويكوف	(٩)
يهودي	مساعد السكرتير العام لقسم الاستعلامات العامة	بنيامين كوهين	(١٠)
يهودي	رئيس قسم الأفلام	جيء بنيوت ليفي	(١١)
يهودي	مساعد السكرتير العام لشعبة القوانين	الدكتور إيفان كرنو	(١٢)
يهودي	رئيس الشعبة القانونية	أبراهام أج فيلر	(١٣)
يهودي	مشاور شعبة القانون الدولي	جي ساندز برك	(١٤)
يهودي	رئيس قسم المطبوعات	دافيد زايلو دويسكي	(١٥)
يهودي	رئيس قسم المترجمين	جرجورا بنوفيج	(١٦)
يهودي	رئيس قسم التصاميم	ماركس اراموفيج	(١٧)
يهودي	رئيس قسم	مارك شوئبر	(١٨)
يهودي	مدير المحاسبة العامة	بي سي جي كن	(١٩)
يهودي	مدير الذاتية	مرسيدس بركمن	(٢٠)
يهودي	رئيس قسم المراجعات	الدكتور أي سنجر	(٢١)
يهودي	رئيس أطباء قسم الصحة العالمية	باول رادزياتكو	(٢٢)

(مركز الاستعلامات في هيئة الأمم المتحدة)

يهودي	قسم الاستخبارات لمركز جنيف	جرري شبيرو رئيس	(١)
يهودي	قسم الاستخبارات لمركز الهند	بي . ليتفكر	(٢)
يهودي	قسم الاستخبارات لمركز الصين	هنري فاست	(٣)
يهودي	رئيس قسم الاستخبارات لمركز وارسو	الدكتور جالوس ستاوسكي	(٤)

(شعبة الأقسام الداخلية لهيئة الأمم المتحدة)

يهودي	رئيس الأقسام الداخلية الدولية	دافيد أي. مريس (اسمه الحقيقي موسكوفيج)	(١)
يهودي	رئيس الأقسام الداخلية لمنطقة خط الاستواء	في. كبريل كارسنز	(٢)
يهودي	مخابر بولونيا لشعبة الأقسام الداخلية	جان روزنر	(٣)

(مؤسسة التغذية والزراعة)

يهودي	رئيس شعبة التغذية والزراعة	أندري ماير	(١)
يهودي	الممثل الدانماركي في شعبة التغذية والزراعة	أي بي جاكسون	(٢)
يهودي	الممثل الهولندي في شعبة التغذية والزراعة	آي فريس	(٣)
يهودي	رئيس شعبة التعمير	أم ام ليمين	(٤)

يهودي	رئيس شعبة التعايش	كيرواكاردوس	(٥)
يهودي	رئيس شعبة المتفرقات	بي كاردوس	(٦)
يهودي	رئيس شعبة الاقتصاد التحليلي	أم أزاكل (حسقليل)	(٧)
يهودي	المشاور الفني لشعبة الغابات	جي بي كاكان	(٨)
يهودي	رئيس شعبة صيانة الغابات	أم أي هارير من	(٩)
يهودي	رئيس قسم التغذية	جي ماير	(١٠)
يهودي	رئيس قسم الإدارة	أف ويسل	(١١)

(اليونسكو مؤسسة التعليم والثقافة والفن)

لقد ثبت أن شعبة التعليم والثقافة والفن تدار من قبل شخصيتين يهوديتين، وهما:

يهودي	رئيس لجنة التبادل الخارجي	آلف سومر فيلد	(١)
يهودي	رئيس لجنة تنظيم الثقافة العالمية	جي ايزنهارد	(٢)

وهناك آخرون في هذه الشعبة وهم

يهودي	رئيس شعبة الثقافة العالمية	ام لافهن	(١)
يهودي	رئيس قسم الاستعلامات العام	اج كابلن	(٢)
يهودي	رئيس قسم الميزانية والإدارة	س اج ويتز	(٣)
يهودي	رئيس شعبة الذاتية	اس سامول سيليكبي	(٤)
يهودي	رئيس شعبة الإيواء والسياحة	بي ابراميسكي	(٥)

يهودي	رئيس مكتب هيئة التعيين	بي ويرمل	(٦)
يهودي	رئيس المصلحة الفنية لشعبة صحارى آسيا	الدكتور أي ويلسكي	(٧)

(بنك الإعمار الدولي)

يهودي	المدير الاقتصادي للبنك	ليونارد بي رست	(١)
يهودي	الممثل الجيكوسلفاكي في مجلس شورى الإدارة	لويولد جميلة	(٢)
يهودي	عضو الشورى لمجلس الإدارة	أي يولاك	(٣)
يهودي	الممثل الهولندي في مجلس شورى الإدارة	أي ام جونك	(٤)
يهودي	الممثل الفرنسي في مجلس شورى الإدارة	بي منديس	(٥)
يهودي	ممثل بيرو في مجلس شورى الإدارة	جي ام برنلبس	(٦)
يهودي	سكرتير بنك الإعمار الدولي	ام ام مندلس	(٧)
يهودي	ممثل يوغسلافيا في مجلس شورى الإدارة	وي ابراموفيج	(٨)

(صندوق النقد الدولي)

وهذه المؤسسة تشكل العمود الفقري لهيئة الأمم المتحدة

يهودي	العضو الجيكوسلفاكي في هيئة الإدارة	جوزيف كولدمن	(١)
يهودي	الممثل الفرنسي في هيئة الإدارة	بي منديس	(٢)

يهودي	المدير العام لمؤسسة صندوق النقد الدولي	كميل كات	(٣)
يهودي	مدير إدارة قسم كندا في المؤسسة	لويس رامينسكي	(٤)
يهودي	مدير إدارة قسم هولندا في المؤسسة	دبل يـ كاستر	(٥)
يهودي	معاون المدير العام	لويس ألتمن	(٦)
يهودي	مدير قسم التدقيق	أي أم برنستن	(٧)
يهودي	المشاور الأقدم للمؤسسة	ليو ليفانزال	(٨)
يهودي	المشاور الأقدم للمؤسسة	جوزيف كولد	(٩)

(مؤسسة اللاجئين الدولية)

يهودي	المدير العام لقسم الصحة والداواة العالمية	ماير كوهن	(١)
يهودي	المدير العام لإعادة واستيطان اللاجئين	بيير جا كويسن	(٢)

(مؤسسة الصحة العالمية)

يهودي	رئيس الشعبة الفنية	زت دوستجمن	(١)
يهودي	رئيس قسم الطب	جي ماير	(٢)
يهودي	المدير العام لقسم الجراحة	دكتور ام كودمن	(٣)
يهودي	المدير العام للمؤسسة	أي زارب	

(مؤسسة التجارة العالمية)

يهودي	رئيس اللجنة الداخلية	ماكس لوتنز	(١)
يهودي	رئيس قسم الاستعلامات الدولية	أفسي وولف	(٢)



- الشيوعية -

(تعريف)

أطلق العرب على المذهب الاقتصادي الذي تسير عليه روسيا ومن نحانحوها (الشيوعية)، وهي في أصل اللسان العربي من قولهم: سهم شائع، إذا كان غير مقسوم. وهذه المادة استعملت في اللسان العربي في عدة أحوال كذلك، وكلها تدور على الذبوع والانتشار، فمن ذلك قول العرب «الشاع» للمنتشر من بول الناقة.

(تاريخ)

مزدك :

عرف العالم القديم الشيوعية في صور شتى، ومن ذلك ما أثر عن (مزدك) الفارسي الذي ظهر في عهد الملك (قباد) ملك فارس، وكان هذا الملك ضعيفاً مهيناً فسدت في عهده الرعية، فزعم مزدك أنه نبي، وأخذ ينهى الناس عن المباغضة والمخالفة والقتال، وأعلن أن سبب هذه الفتن هي النساء والأموال؛ لذا رأى أن تباح النساء لكل راغب، وأن تباح الأموال لكل طالب؛ حتى يشترك فيها الناس اشتراكهم في الماء والهواء.

وقد انتشر مذهبه في عامة بلاد فارس، ودخل فيه (قباد) نفسه. وقام الفقراء بتقتيل الأغنياء، وصار الجماعة منهم يدخلون على الرجل فيقتلونه ويثبون على أمواله ونسائه، فغضب لذلك بعض عظماء فارس وبخاصة (أنوشروان)

ابن الملك قباذ، وزعيم آخر يقال له (ساجور) وتأمروا على (مزدك) وقتلوه وخلعوا (قباذ) وعينوا أخاه (جاماسب) ملكاً عليهم، وحاولوا القضاء على فتنة المزدكية، غير أن (قباذ) استطاع أن يعود إلى الملك وأن يجبس أخاه.

فقوي بذلك شر المزدكية من جديد، واستمرت إلى أن قتل (قباذ) وتولى بعده ابنه (أنوشروان) الذي ولد في عهده رسول الله ﷺ، فلما استقل بالملك وجلس على السرير قال لخواصه:

- إني عاهدت الله إذا صار إلي الملك ألا أبقني على أحد من المزدكية الذين أفسدوا أموال الناس ونساءهم.

وكان عند سريره رجل مزدكي، فقال لأنوشروان:

- أتقتل الناس جميعاً؟

فنظر إليه (أنوشروان) وقال له:

- أتذكر يا ابن الخبيثة يوم طلبت من أبي أن يأذن لك في

الميت عند أمي فأذن لك، ولما ذهبت إلى حجرتها لحقت
بك وقبلت رجلك التي أثرتن جوربها في أنفي وتضرعت
إليك حتى وهبتها لي ورجعت؟

فأقر الرجل أمام الحاشية بما قال الملك، فأمر بقتله،
فضربت عنقه وأحرقت جثته، ثم أمر أنوشروان باستئصال
شأفة المزدكية وقضى عليهم.



(كارل ماركس)

كما عرفت الشيوعية في العصر الحديث في صور متقاربة
بزعامه رجال تكاد تتشابه ظروف حياتهم مع حياة (مزدك)
الفرسي، وأشهر هؤلاء الزعماء (كارل ماركس).

حياته :

ولد (كارل ماركس) عام ١٨١٨ م من أبوين يهوديين،
غير أن أباه لم يستقر على دين آباءه اليهود، فقد تنصر وترك
دين اليهودية. أما (كارل ماركس) فقد ظهر في أول شبابه
حريصاً على الدين، فقد أثر عنه أنه كان يقول آنذاك:
«الدين أساس الحياة الإنسانية، وهو يلقننا الحكمة والخير».

نفسيته :

بيد أن خبيثة (ماركس) كانت تعلن عن نفسها في كثير
من الأحيان، وقد كان هذا الإعلان يبدو تناقضه في كثير
من الأحوال، ويعلل ذلك (اوتورهل) الماركسي إذ يقول:

- «إنه كان نموذجياً فيما كان يعانيه من اختلال نشاطه الروحي، وكان على الدوام متقلباً حقوداً لا يزال في تصرفه عرضة لتأثير سوء الهضم والانتفاخ وهياج الصفراء، وكان موسوساً يغلو كجميع الموسوسين في الشعور بمتاعبه الجسدية».

وقد عثر على رسالة كتبها والد (ماركس) يصف فيها حال ولده بأنه يقضي جل ليليه مرهقاً جسده وعقله في دراسة لا لذة فيها، معرضاً عن جميع الملهيات في طلب المشكلات الغامضة ليهدم غداً ما بناه اليوم.

وقد كان (ماركس) يهمل دروسه وينقطع عن معهده الأسابيع المتواصلة متابعاً لما شذ من الآراء التي بينها اليوم ويهدمها غداً، أو باحثاً عن اللذة الجنسية والمتاع الجسدي. وقد شغف أولاً بدراسة القانون ثم تركه وشغف بدراسة الفلسفة ثم تركها، واشتغل بدراسة المذاهب الاقتصادية. وحصل على شهادة الدكتوراة بالمراسلة من جامعة جينا الألمانية عام ١٨٤١ م.

وكان ماركس أيام حياته الدراسية عالية على أبيه (هرشل) فلما مات أبوه صار عالية على أمه وأخته حتى عجزتا عن مواصلة الإنفاق عليه، فصار يلجأ إلى الاستدانة من أقربائه وأصدقائه وبخاصة من (أنجلز) قرينه في الدعوة إلى الشيوعية.

وكان أصدقاؤه إذا ضاقوا من طلباته حاولوا أن يكلفوه ببعض الأعمال التي قد تدر عليه بعض الرزق، ولكنه كان يبوء بالفشل في كل عمل يسند إليه.

وكان (ماركس) قد تعرف على فتاة بارعة الجمال في أثناء دراسته للحقوق في جامعة (بون) تدعى (جيني)، ولم يكن أحد قد اشتهر منه رائحة نزعتة الشيوعية إلى ذلك الحين. وكان عمره لا يتجاوز العشرين. وقد وقعت الفتاة في قلبه وهام بها، ولم يكن في أول أمره ذلك يفكر في الزواج منها، نظراً لأنها من طبقة فوق طبقة أهله، والتقاليد تقف حجر عثرة في سبيله، غير أن الفتاة بادلتة الحب ورغبت في الزواج منه ولم تعبأ بالفوراق الطبقيّة التي توجد بينهما.

وقد بذل (ماركس) و(جيني) كل ما يستطيعان لتحقيق حلمهما في الاقتران الرسمي وتمكين عواطفهما المشبوبة من الحصول على ثمرة طويلة، حتى تمكنا من ذلك، إذ أعلنت الفتاة في عزم وإصرار أنها لن تتخلى عن (ماركس) مهما كانت الفوارق الطبقيّة بينهما، وأنها راضية به على أي حال.

وعلى الرغم من تحقيق هذا الحلم فقد بدأ (ماركس) يشعر بالحدق الثائر نحو نظام الطبقات الذي كاد يحول بينه وبين حبيبته جيني، وقد بدأت مشكلة المعاش - له ولزوجته - تتعقد أمامه، فقد زادت نفقاته ولم يتحسن إنتاجه ولا سيما بعد أن صار ذا أولاد.

وقد صورت زوجته (جيني) ما صارت إليه هي وزوجها من البؤس في كتاب إلى صديق لها تطلب منه أن يمد لها يد المساعدة قالت فيه:

«اأذن لي أن أصف لك يوماً من أيام هذه الحياة، وسترى أن غيرنا لم يقاس ما قاسينا، فأنا مريضة سقيمة، ومع أن

ثديي وظهري بهما أوجاع وآلام بالغة فإنني مضطرة إلى أن أرضع طفلي الرابع الحديث الولادة؛ لأنني لا أستطيع أن أدفع أجرة مرضعة، ولكن كان طفلي يرضع الحزن والألم والجوع فيتلوى من المرض ليلاً ونهاراً. ومع هذا الفقر والحاجة فقد دخلت علينا صاحبة المنزل وطلبت منا أجرة البيت، كما طالبت بما علينا لها من قروض، ولما كنا عاجزين عن الدفع فقد حجزت على كل ما نملك في البيت حتى فراش الطفل وباعته بما لها علينا من الدين، ثم طردتنا إلى الشارع والمطرينهمر بغزارة، والبرد قارس لا يرحم، وبذل زوجي (ماركس) كل ما في وسعه من جهد فلم نجد من يقبل إيواننا».

كما كتبت (جيني) مرة أخرى تصف إحدى ليالي البؤس التي مرت بها وبـ (ماركس) فتقول:

– «أحسست ابتتنا بنزلة شعبية، وصارعت الموت ثلاثة أيام ثم ماتت. وأخذنا نبكي عليها، ولم يكن لدينا ما نجهزها ونكفنها به، وأبقينا الجثة حتى نجد ما نستعين

به على دفنها، ومضيت إلى جار فرنسي مهاجر فأعطاني
جنيهين!

وأسفاه! .. وفدت ابنتنا إلى الدنيا فلم تجد مهدياً،
وعندما غادرت الدنيا لم تجد كفناً».

من هذه الصورة نستطيع أن نعرف الدوافع التي
حدثت بـ (ماركس) أن يكون داعياً لمصارعة الطبقات،
ثائراً عنيداً في الدعوة الشيوعية، عبداً ضارحاً أمام محراب
المادية، ينفث سمومه في نواح متعددة من أوروبا ولا سيما
في إنجلترا حتى مات عام ١٨٨٣ م.

ولما قامت الثورة الروسية ضد القيصرية من أسرة
(رومانوف) بعد الحرب العالمية الأولى وتسلم قيادة الثورة
(لينين) - أحد الماركسيين - ظهرت الشيوعية الرسمية
لأول مرة في العصر الحديث.



(المذهب الماركسي)

روحه وصورته :

للمذهب الماركسي روح وصورة، أما روحه: فهي فلسفته في الكون، وأنه لا أثر فيه لغير المادة، فلا إيمان إلا بالمادية.

وأما صورته: فهي المخططات الرئيسة التي لا بد منها لقيام المجتمع الشيوعي.

المادية :

أعلن (ماركس) أنه لا يؤمن بغير المادة، وأن كل شيء في الوجود إن هو إلا أثر من آثار المادية، والمادية في نظر (كارل ماركس) تعني عدم الإيمان بالغيب، كما تعني الكفر بالله فاطر السموات والأرض، وإنكار جميع المظاهر الدينية والمذاهب الروحية، والمنازع الأخلاقية، والتقاليد ونظام الزواج والأسرة، وكذلك إنكار العواطف والتأثرات النفسية

والوجدانية، والعلوم والمعارف والآداب، فهذه كلها في نظره من تضليلات أصحاب الثروة (الرأسماليين) لاستغلال الفقراء والمساكين. وليس هناك إلا المادة، فهي التي تكوّن وقائع التاريخ، وما المظاهر الكونية كلها إلا مادة بحثة.

الدين:

يزعم (ماركس) أن الدين وسيلة من وسائل الاستغلال. اخترعه أصحاب الثروة والمسيطرون على مصادر الإنتاج؛ ليخدروا به الشعب حتى يسهل استغلالهم وتيسر سرقته، وقد اضطرب (ماركس) في شأن الدين اضطراباً عنيفاً، فمرة يقول فيه: إنه (أفيون الشعب) الذي يخردها عن رؤية الحقائق المادية. ومرة يزعم أنه انعكاس القوى الظاهرية التي تسيطر على معيشة الإنسان اليومية؛ على معنى أن الإنسان يرى في المناظر الطبيعية قوة جبارة لا مناص له من الخضوع لها. فتراه يعبد منها ما لا يدركه. وطوراً يصفه بأنه تزلف من واضعيه إلى أرباب السلطان وأصحاب رؤوس الأموال. وحيناً يقول:

«إنه الغذاء الخادع للضعفاء؛ لأنه يدعوهم إلى احتمال المظالم في الوقت الذي لا يتمكن من إزالتها» وأحياناً يقول: «هو خمرة الشعوب يروضها على الفقر والمسكنة ويلهيهما بما يغريها من نعيم الآخرة عن نعيم الدنيا؛ ليستأثر به سادة المجتمع ويغتصبوا منه علانية أو يسرقوا منه خلسة ما يطيب لهم أن يغتصبوه أو يسرقوه».

وموقف (ماركس) المضطرب في الدين قرينة لاضطرابه النفسي، وعجز ظاهر عن مقارعة الشرائع، وقد فاق (ماركس) الدهريين في إنكار ما وراء المادة إذ قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

فإن (ماركس) حاول أن يفسر المظاهر الدينية بهذه الآراء المضطربة.

فأين الرأسماليون الذين أتى وحيهم بالإسلام؟ وهل علم (ماركس) والماركسيون بقصة الملائم من قريش حينما أرسلوا أحد زعمائهم إلى الرسول ﷺ يقول له:

«إن كنتَ تريد المال جمعنا لك منه ما تريد حتى تصير أغنانا، وإن كنتَ تريد الملك ملكناك علينا، وإن كان بك شيء عاجلناك».

وحينما انتهى سفير قريش من الخطاب يقول الرسول ﷺ:

«انتهيت يا عم؟ ثم يقرأ أول سورة فصلت حتى يبلغ:
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾».

وحينئذ تتسرب أنوار الحقيقة إلى قلب ذلك السفير ويخاف على نفسه، فيضع يده على فم رسول الله ﷺ ويقول:
«ناشدتك الرحم أن تكف». ثم يأتي قومه وينصحهم بطاعة رسول الله ﷺ ويقول:

«إن لكلامه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليس من كلام البشر».

وهل علم ماركس والماركسيون قصة الملائ من قريش حينما اجتمعوا في بيت أبي طالب يقولون له:

«إما أن تنهى محمداً عن تسفيه أحلامنا، وتضليل معتقداتنا أو تخلي بيننا وبينه»، حتى يقول له عمه: «يا ابن أخي لو أبقيت على نفسك» فيقول رسول الله ﷺ:

«والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وهل يظن (ماركس) والماركسيون أن الملائ من قوم فرعون هم الذين أوحوا إلى رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام بالدين الذي جاءهم به ودعاهم إليه، فيقول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، فيقول: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾، فيقول لمن حوله: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾، حتى يقول موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، فيقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، فيقول موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، حتى يقول فرعون: ﴿لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾، فيقول موسى: ﴿أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾.

وهل يظن (ماركس) والماركسيون أن الملائم من قوم
فرعون أو من بني إسرائيل هم الذين أوحوا إلى موسى
بتحريم المراهبة، وأن يقاد للنفس بالنفس، والعين بالعين،
والأذن بالأذن، والسن بالسن، وأن الجروح قصاص.

وهل يظن (ماركس) أن أغنياء اليهود والرومان هم
الذين أوحوا إلى عيسى ابن مريم حتى جاء بالإنجيل،
وهو الذي أثر عنه أنه يقول:

«إن دخل إلى مجمعكم رجل واحد بخواتيم الذهب
في لباس بهي ودخل معه فقير بلباس وسخ فنظرتم إلى
اللابس اللباس البهي وقتتم له:

- اجلس أنت هنا حسناً.

وقلتم للفقير:

- قف أنت هناك أو اجلس تحت موطئ القدمين.

فهل لا ترتابون في أنفسكم وتصيرون قضاة أفكار شريفة؟

وهل علم (ماركس) أن رجلاً من فقراء المسلمين مرَّ
على رسول الله ﷺ وهو جالس مع بعض أصحابه ﷺ
فقال: ما تقولون في هذا؟

قالوا: «حري به إن خطب ألا يخطب، وإن قال ألا
يستمع، وإن شفع ألا يشفع».

ثم مر رجل من أغنياء المسلمين فقال: «ما تقولون في
هذا؟» قالوا: «حري به إن خطب أن يخطب، وإن شفع أن
يشفع، وإن قال أن يستمع».

فقال عليه الصلاة والسلام: «هذا - يعني الفقير - خير
من ملء الأرض من مثل هذا - يعني الغني -».

ولا شك أن (ماركس) يجهل هذه الحقائق ولا يدري
عنها شيئاً، ولو ادعى معرفتها لكانت البلية أخطر والمصيبة
أعظم.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وانت كنت تدري فالمصيبة أعظم

الأخلاق والآداب:

يجارب الماركسيون جميع الأخلاق التي قد يتصف بها شعب من الشعوب أو فرد من الأفراد، بدعوى أن هذه الأخلاق سواء أكانت فردية أم جماعية ما هي إلا أثر من الآثار التي أوحى بها (الإقطاعيون)، وإن هي إلا خداع وتضليل للعمال والفلاحين من قبل الملاك وأصحاب الأموال.

والخلق الوحيد الذي آمن به الشيوعيون هو وجوب مخالفة سائر الأنظمة الأخلاقية، ومحاربة عموم أنواع الآداب المرعية في المجتمعات الإنسانية، وبخاصة ما كان منها نتيجة للأوامر الإلهية.

وقد قادهم هذا الشذوذ الخلفي إلى هتك الأسرة ومحاربة ناموس الزواج، ورأوا أن هدم ذلك من أقوى دعائم الشيوعية، فتساوى الزواج والزنى في نظامهم،

وحسن في أعينهم وقاع أمهاتهم وأخواتهم وبناتهم
وعماتهم وخالاتهم، وانحطوا في سلوكهم الأخلاقي عن
كثير من الحيوانات العجاوات.

وقد أصبحت لفظة (الكرام) عندهم لفظة مرذولة؛
فالمحبوب لديهم أن يُطروا بالرفقاء الأندال، وأضحت
كلمة (الشرف) من الألفاظ المدسوسة على الإنسانية
بواسطة أصحاب الإقطاع، فيجب أن تداس بالأقدام
(والأمانة) دسيسة خبيثة من دسائس المحافظة على
رؤوس الأموال.

المعارف والعلوم:

ويرى الماركسيون أن المعارف والعلوم إنما ترجع إلى
حاجة الإنسان (المادية) الجسدية، منكرين أن يكون لعقله
أو وجدانه تأثير فيها، كما ينكرون أشد الإنكار أن تأتي
من طريق السماء؛ وإنما تكون فقط وليدة حاجته المادية
ومطالبه الحيوانية.

أما العلوم والمعارف والنظريات التي لا تخضع لهذا
التفسير الشيوعي فهي في نظرهم:
تضليلات .. وتخييلات .. وأوهام.



(المخططات الرئيسية لقيام المجتمع الشيوعي)

يرى الماركسيون أنه لا بد لقيام المجتمع الشيوعي من خمسة أركان يبنى عليها، هي:

(١) استيلاء الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين على مقاليد الحكم في أول الأمر.

(٢) تأمين وسائل الإنتاج ومصادر الثروة.

(٣) القضاء على رأس المال.

(٤) القضاء على الطبقات.

(٥) ثم القضاء على الحكومة.

(١) استيلاء الطبقة الكادحة على مقاليد الحكم.

يرى (ماركس) أن (الأجراء) ولاسيما الأجراء في الصناعة قابلون (للثورة الاجتماعية)؛ لأنهم لا يملكون شيئاً في المصانع، ولعلمهم كذلك يحملون في الغالب قلوباً مملوءة بالحق والضعينة على أصحاب الأموال، وهم الأداة السهلة اللينة التي تؤثر فيها مختلف الدعايات؛ لذلك اعتبر (ماركس) أن أول المخططات الضرورية لقيام المجتمع الشيوعي هو قيام الطبقة الكادحة (البروليتاريا) من العمال الصناعيين والأجراء الزراعيين بالاستيلاء على مقاليد (الحكم) ومناصب الدولة حتى يهدم بهم الحكومات القائمة.

ونحن لا نرى عيباً في هذه القاعدة من حيث أن تكون الحكومة من طبقة الفقراء، فإن الفقر والغنى في نظرنا أعراض غير ذاتية؛ بل تتغير وتتبدل، إذ المال ظل زائل وعارية مستردة، والمرء عندنا بأخلاقه وآدابه لا بأمواله وكثرة متاعه.

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

غير أننا لا نرى أن يكون المسيطرون على مقاليد
(الحكم) ولا بد من طبقة الفقراء؛ إذ الغالب عليهم
الفوضى والجهل، والله در الشاعر إذ يقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة إذا جهالهم سادوا

غير أن نظام الماركسيين ينص على:

«إن قيام حكومة العمال والفلاحين هو شيء (مؤقت)
وأنه حركة انتقالية إلى مرحلة الشيوعية الحقيقية التي لا
تبقى فيها حكومة، وإنما ينطلق الشعب حراً بلا حكومة
ولا سلطان».

بيد أن واقع الحياة الشيوعية لم ير هذه النظرية مطبقة في
أي قطر من الأقطار التي بليت بهذا النظام، فجميع البلاد
التي صارت إلى الشيوعية قامت حكومتها من جنس
الحكومات التي كانت في تلك البلاد قبل الحكم الشيوعي.

ولم يقع أبداً أن صارت حكومة شيوعية من طبقة العمال
والفلاحين.

ففي روسيا مثلاً كان الدور الذي قامت به الطبقة
الكادحة هو إشعال نار الثورة ضد الحكم القيصري
والقضاء عليه، ولما تم لرؤساء الحزب الشيوعي ما أرادوا
من سقوط عرش آل (رومانوف) قبض رؤساء الحزب
الشيوعي على زمام الحكم وأزاحوا العمال والفلاحين من
الطريق وردوهم مدحورين إلى المصانع والمزارع ليقاسوا
تحت سخط الحزب الشيوعي أشد ألوان المهانة والإرهاق.

وقد قام العمال والفلاحون بعدة ثورات كانت
تقابل بأنكى صنوف القمع والإرهاب، ولم تمنع وسائل
التعذيب الإجرامية هؤلاء من أن يقوم الكثير منهم
بإحراق المحاصيل وتبديد الماشية والأموال حتى لا تقع
في يد هؤلاء الحكام المستبدين.

وقد حاول (ستالين) أن يقضي على ثورات الطبقة

الكادحة بألوان شتى من أنواع القتل والحبس والنفى في
مجاهل (سيريا) والتهديد والوعيد فلم يفلح.

وفي منشور له في هذا الصدد يقول:

«لكي يضمن الكوخوزيون - المزارعون - لأنفسهم
الحياة والعيشة يتطلب ذلك منهم أن يعملوا في
(الكوخوزات) - المزارع التعاونية - ويحافظوا عليها، ولا
ينسوا مسؤوليتهم تجاهها».

ولما قال العمال لستالين:

- لقد وعدتمونا بأن تكون الحكومة من العمال
والفلاحين فلم لا تنفذون وعودكم؟

قال ستالين:

- لقد انتقلت السلطة وتركزت في يد حزب واحد هو
حزبنا، ولن يشاركنا في توجيه الدولة أي فئة أخرى، وهذا
ما يعنيه (بالدكتاتورية العمالية).

وهكذا نرى المخطط الأول من المخططات التي رسمها (ماركس) للمجتمع الشيوعي لم تكن إلا حبراً على ورق - كما يقولون -، بل صار العمال والفلاحون في المجتمع الشيوعي أحط أنواع العمال والفلاحين في العالم.

(٢) تأميم وسائل الإنتاج ومصادر الثروة.

يرى الماركسيون أن السبب الرئيس لتكوين الطبقات هو وسائل الإنتاج ومصادر الثروة، فلا بد للقضاء على (نظام الطبقات) من القيام:

أولاً: بتأميم وسائل الإنتاج ومصادر (الثروة) وجعلها بدل أن تكون ملكاً لبعض الأفراد أن تصير ملكاً لجميع الأمة.

وهذا التأميم كذلك يُعدُّ خطوة أولى لخطوة تليها هي القضاء التام على رؤوس الأموال والملكيات الفردية مهما كان نوعها، وهذه النظرية لا ترى أي حرمة لمن بيده شيء

من مصادر الثروة ووسائل الإنتاج، كما لا ترى أي قيمة لما بذله الأفراد في سبيل مشروع ولو في الأصل على الأقل للحصول على ما بأيديهم من أموال.

ولسنا نجادلهم بالأدلة الدينية التي توجب مراعاة الحرم والمحافضة على حقوق ذوي الحقوق، فإن الدين في نظرهم هو (أفيون الشعوب) وإنما نقول لهم:

لقد أمتم مصادر الثروة ووسائل الإنتاج، فماذا فعلتم بهذه الأموال المؤممة، وكان المفروض - بناء على دعواكم الأساسية - أن تصير ملكاً للمجموع يتساوون في الانتفاع بها. فهل صار في متناول كل فرد من أفراد أمتكم أن يحصل على شيء من هذه الأموال يسد بها عازته ويقضي منها وطره وحاجته؟!!

والواقع أن الأموال المؤممة إنما انتقلت من ملك أربابها ومكتسبها إلى خزينة الدولة؛ ليتصرف فيها الحكام حسب

أغراضهم وأهوائهم، وليبذلوا ما شاؤوا في سبيل امتداد حكمهم وسلطانهم، ولينغمسوا بها في الشهوات والملاذ إلى حلوقهم وأذقانهم، وقد كانت نتيجة هذا (التأميم) سلب أسباب الغنى من الأغنياء وإدامة الفقر والمسكنة للمساكين والفقراء.

(٣) القضاء على رأس المال.

والمخطط الثالث من المخططات اللازمة لقيام المجتمع الشيوعي هو القضاء على (رأس المال)، بدعوى أن رأس المال يشكل العمود الرئيس للظلم الواقع على رأس (الطبقة الكادحة).

أما كيفية هذا الظلم فيقرر الماركسيون بأن قيمة كل شيء هو العمل الإنساني الذي بذل فيه، وإذا لم يكن هناك استغلال وجب أن يأخذ العامل ثمرة العمل كلها، إلا أن صاحب رأس المال (يستغل) اضطرار العامل فلا يعطيه من قيمة عمله إلا جزءاً يسيراً قد لا يفي بكفايته، ولا يقوم

بحاجته الضرورية من القوت، ثم يأخذ صاحب رأس المال الزيادة لنفسه، ويصرفها في توسيع ثروته، فيزداد إمعاناً في الظلم وإغراقاً في سرقة حقوق العامل.

وهذه الزيادة بين رأس المال الأصلي وقيمة الإنتاج يسميها كارل ماركس (القيمة الفاضلة).

وهذه القيمة الفاضلة قد ذهب أكثرها إلى صاحب رأس المال، وقد كان من حق العامل أن يستولي على هذه القيمة الفاضلة كلها؛ لأنها في الواقع عند - ماركس - قيمة عمله وثمره كده.

لذلك رأى ماركس أنه من الضروري القضاء على رأس المال حتى تتحطم السلاسل والأغلال التي يكبل بها الرأسماليون العمال والكادحين، ولا بد أن يسري على الجميع بعد ذلك قانون قاطع هو:

«إن لكل حسب حاجته، ولكل حسب طاقته»، ومعنى ذلك أن الدولة تكفل لكل إنسان قدر ما يحتاجه في معاشه

من مطعم وملبس ومسكن، وتكلفه في نظير ذلك أن يبذل
للدولة ما يطيقه من العمل!!

هذا .. ودعوى الماركسيين أن رأس المال يشكل العمود
الفقري الرئيس للظلم الواقع على رأس الطبقة الكادحة
هي دعوى فاسدة، بل رأس المال قد يكون سبباً في كثير
من الأحيان في مد يد المساعدة والعون للطبقة الكادحة
وتيسير أسباب المعاش لهم.

كما أن دعوى الماركسيين أن قيمة كل شيء هو العمل
الإنساني الذي بذل فيه، وأن العدالة تقتضي أن يحصل
العامل على جميع القيمة الفاضلة هي دعوى منافية للعدل
والإنصاف، كذلك لما فيها من إلغاء الأدوات والآلات
التي بذلها صاحب رأس المال والتي يسرت للعامل هذا
العمل، كما أن أبسط قواعد الاقتصاد تبرهن على أن قيمة
الشيء ليست العمل الإنساني الذي بذل فيه.

فالسلة الواحدة قد يصنعها عامل في يوم ويصنعها عامل آخر في يومين، وقد يباع كتاب في سنة ما بدينار واحد، ولا يساوي في سنة أخرى أكثر من ربع دينار، وهذا الصنف من الشراب قد يرتفع سعره في بلد وينخفض في بلد آخر في نفس الوقت، مع أن العمل الإنساني الذي بذل فيه إنما هو عمل واحد؛ بل قيمة الشيء غالباً تخضع لنظام (العرض والطلب).

كما أن القانون الذي قرروا أن يكون لكل حسب حاجته ومن كل حسب طاقته، هو قانون خيالي؛ لأن حاجات الناس متفاوتة كتفاوت طباعهم. أي أن هذا العامل قد يكفيه قليل من الخبز والإدام لتوليد طاقة العمل في بنيته، وقد يزامله عامل آخر في نفس العمل ولا يكفيه ضعفه من الخبز والإدام لتوليد طاقة العمل لديه، كما أن بعض العمال قد يستطيع مباشرة عمله في الشتاء بلباس خفيف ولا يستطيع زميله في العمل أن يياشر إلا بلباس ثقيل قد يكلفه ضعف ما يحتاجه زميله السابق.

ومما يبين فساد هذه النظرية ومخالفاتها لنظام الطبيعة والفطرة هو: عجز الشعوب التي سقطت في براثن دعاة الشيوعية عن تطبيقها، كما أنهم صاروا المثل الأسوأ في ظلم الطبقة الكادحة من الفلاحين والعمال.

فقد صار العامل في روسيا - مثلاً - يطلب منه أن يقدم أقصى ما يستطيع تقديمه من طاقة في مدة معينة، ثم تبيع الحكومة مجهود هذا العامل بأكثر مما كلفته حاجته التي فرضت أنها مساوية لمجهوده.

فمجهود العامل الذي يساوي ألف ريال كان ينبغي أن يحصل في نظيره على قدر حاجته التي يرى نفسه محتاجة إليها وقد تصل إلى ألف ريال مثلاً.

غير أن الحكومة هي التي حددت حاجته بنفسها دون أن يحددها المحتاج نفسه؛ فقد قدرت له - مثلاً - ستمائة ريال؛ فسرقت منه إذاً أربعمائة ريال.

وبهذا يكون هؤلاء الماركسيون قد وقعوا في أنحس مما عابوه على أصحاب رؤوس الأموال. على أن دعوة القضاء على رأس المال قد فشلت عند التطبيق لدى الشيوعيين، فقد اضطرت روسيا - مثلاً - إلى أن تبيح للفلاحين أن يملكوا قطعاً صغيرة من الأراضي يستثمرونها لاستهلاكهم بشرط أن لا يعاونهم في استثمارها آخرون، كما نصت على ذلك المادة (السابعة والتاسعة) من الدستور السوفييتي.

كما أباحت الحكومة للفرد (تملك) أشياء أخرى كالماشية والبغال؛ وإن كانت الحكومة قد فرضت على الملكيات الفردية الصغيرة ضرائب باهظة حتى تتلاشى وتموت.

(٤) القضاء على الطبقات.

ذكرنا في بحث تأميم وسائل الإنتاج ومصادر الثروة أن الماركسيين يرون أن السبب الرئيس لتكوين الطبقات وجود وسائل الإنتاج ومصادر الثروة، وأنهم قرروا أنه لا بد للقضاء على نظام الطبقات من القيام بتأميم وسائل

الإنتاج ومصادر الثروة، وكأنهم بهذا يقررون أن القضاء على (الطبقات) لازمة من لوازم النظام الشيوعي، بل هو أشد ضرورة من التأميم؛ لذلك أذاعوا وأشاعوا أنهم يركبون كل صعب وذلول لتحقيق ذلك الأمر الخطير.

تعريف الطبقة :

الطبقة في نظر الباحثين هي الفئة من الناس التي تختلف في مركزها الاجتماعي عن باقي الفئات التي تشكل معها مجتمعاً ما.

فالعمال الزراعيون والصناعيون طبقة، وصغار الملاك طبقة، والمتوسطون في الأملاك طبقة، وأصحاب الثراء الواسع والملك العريض والإقطاعيون طبقة، والمهرة العسكريون طبقة، والأمراء والنبلاء طبقة، ورجال الدين طبقة.

وقد يصير الإنسان في طبقة من هذه الطبقات بسبب النسب، كما قد يصير إليها بسبب العلم، ولا مانع أن ينتقل

الإنسان من طبقة إلى طبقة أرفع أو ينحط إلى طبقة أسفل.
على حد قول القائل:

نفس عصام سوّدت عصاماً وعرفته الكراً والإحجاما
وصيرته بطلاً مقداماً

وقول القائل:

أبوك أب حر وأمك حرة وقد يلد الحران غيرنجيب

وهذا التعريف (للطبقة) لا يمنع وجود تعاون بين طبقة
وأخرى، إذ هذا التفاوت الطبقي ضرورة من ضرورات
ال عمران، وسبب وجوده تفاوت الفطر. ولذلك يقال:
«الإنسان مدني بالطبع»، وقد قرر الله تعالى في القرآن
الكريم هذه الحقيقة إذ يقول:

﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

تعريف الطبقة عند ماركس:

أما كارل ماركس فقد عرّف الطبقة: «أنها الطائفة التي تكون لها مصالح معارضة لمصالح طبقة أخرى».

وعلى هذا التعريف لا بد من فرض الشقاق والنزاع ودوام الصراع بين عموم الطبقات؛ ولذلك زعم الماركسيون أنه من الضروري القضاء على نظام الطبقات وإيجاد مجتمع ديمقراطي على مستوى واحد تنعدم فيه جميع الفروق الطبقيّة على أي حال.

وقد سعى الشيوعيون جهدهم وبذلوا كل ما يمكن بذله لتحقيق هذه الغاية، فهل انعدم من المجتمع نظام الطبقات؟!؟

وجود الطبقات في المجتمع الشيوعي:

والواقع أن المجتمع الشيوعي يتمثل في غيره من الطبقات، فلا يزال في روسيا - مثلاً - طبقة العمال والفلاحين، وطبقة القادة العسكريين، وطبقة رجال البوليس السري

والمخبرات، وطبقة العلماء والرجال الأكاديميين، وطبقة المهندسين، وطبقة الفنانين والراقصين، وطبقة زعماء الحزب الشيوعي.

وقد وجدت هذه الطبقات في المجتمع الشيوعي بحسب تفاوت الدخل الذي قدرته الحكومة لهؤلاء حسب ميزان الاحتياج الذي صنعه، فقد جعل المعدل الوسطي لحاجة العمال والفلاحين ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ روبل، كما جعل المعدل الوسطي للفنانين والراقصين يتراوح ما بين ١٤٠٠ إلى ٢٠٠٠ روبل، وجعل المعدل الوسطي للقادة العسكريين والعلماء والمهندسين يتراوح بين ٤٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ روبل.

وقد عمدت الحكومة بعد الحرب العالمية الثانية إلى بناء منازل لأعضاء الأكاديمية، ومنحت كل واحد منهم سيارة وسائقاً خاصاً، وبهذا تكون الشيوعية الرسمية قد أوجدت نظاماً طبقياً أنحس مما عند غيرهم من نظام الطبقات، ولا شك أن محاربة أساس النظام الطبقي ما

هو إلا وقوف في وجه الطبيعة التي طبع الله الناس عليها،
و حرب للفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وقد سجلت حوادث التاريخ أن محارب الفطرة
مدحور، والمتصدي لقهر الطبيعة مقهور.

ولسنا بهذا نقرر ترفع وتعالى طبقة على طبقة، أو بغي
فئة على فئة، فنحن لا نرى فضل الرجل بماله ولا نرى
فضله بوظيفته ولا نرى فضله بنسبه؛ وإنما الفضل عندنا
بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، والمرء في الواقع
بأصغريه قلبه ولسانه.

(٥) القضاء على الحكومة.

الدعامة الخامسة من دعائم النظام الشيوعي هي
القضاء على الحكومة والدولة، والشيوعيون يعتبرون أن
القضاء على الحكومة هو النهاية الحتمية للنظام الشيوعي،
وفي ذلك يقول ماركس:

«وبعد أن تزول المنازعات بين الطبقات زوالاً نهائياً خلال التطور، وبعد أن يتركز الإنتاج كله في أيدي الأفراد المشاركين، عندئذ تفقد السلطة العامة طابعها السياسي».

ثم يقول أيضاً:

«والدولة هي سلطة الطبقة المنظمة، تزول بزوال الطبقة، وعندئذ يكون عهد الشيوعية بكل ما تعني الكلمة».

وكان ماركس يقول إن وجود الحكومة مهما كانت من العوامل التي تفيد الشعب وتحويل دون صبغته بكامل حريته، فلا بد من زوال الحكومة لينطلق الشعب في طريق حرته إلى أقصى الحدود.

وكان ماركس يرى أن حقيقة الشيوعية لا يمكن أن تتكامل ما دام على رأس الشعب حكومة تديره، وفي ذلك يقول:

«الشيوعية هي عهد تسوده الحرية، وعصر يزدهر فيه الإنسان أكمل ازدهار، فهو يحتم مع زوال الطبقات زوال الحكومة».

ونحن لا نستطيع أن نجزم هل كان ماركس جاداً فيما يقول حينما يقرر هذه الحقيقة على أنها من دعائم النظام الشيوعي؟ وهل كان ماركس متمتعاً بقواه العقلية حينما يخرج على الناس بمثل هذه النظرية التي لم يعرفها التاريخ البشري في مجتمع ما من المجتمعات المتمدنة أو الهمجية على حد سواء؟ وحتى لو فرض وجودها في مجتمع بدائي همجي فهل يميز العقل وجود مثلها في مجتمع ذي حاجات متفاوتة بل وإلحاح في طلب الكماليات.

وهل ظن ماركس أن فطر الناس المتباينة وطبائعهم المتنازعة سيؤول بها الحال إلى الزوال فيعيش الناس في الأرض يأكلون من نباتاتها المختلفة، ولحوم حيواناتها المتغايرة الطبائع، ثم يصيرون في نفس الوقت كملائكة السماء؟!

ولا نذهب بعيداً لنراجع نحن أو غيرنا في ذلك حوادث التاريخ، وإنما نلقي نظرة عابرة على واقع الحكومة في (المجتمع الشيوعي)؛ فالمعروف الذي لا يشك فيه من

عنده أدنى اطلاع أن الحكومة في بلاد الشيوعيين ومن
ينحو نحوها تسير في طريق (الدكتاتورية) إلى حد لا نظير
له في المجتمعات الأخرى؛ فمن مقررات ستالين:

«إن تقرير المصير لأي فرد أو أمة أو جماعة يجب ألا
يتضارب مع حق الحزب الذي يمثل الجماهير الكادحة في
أن يحكم حكماً دكتاتورياً».



- بين الشيوعية والاشتراكية -

يستعمل الكثيرون الشيوعية والاشتراكية على معنى واحد، غير أن بعض الناس يفرق بين الاشتراكية والشيوعية في الجملة من وجوه:

(١) أن الاشتراكية هي الخطوة الأولى للشيوعية.

(٢) أن الاشتراكية لا تمنع في قيام حكومة من طبقة العمال والفلاحين بخلاف الشيوعية الحقيقية فإنها لا تجيز أي نوع من الحكومات.

(٣) أن الشيوعية لا تبيح أي نوع من الملكيات بخلاف الاشتراكية، فإنها تميز وجود بعض الملكيات الفردية في حدود ضيقة، وعلى قواعد تؤدي في النهاية إلى تلاشي هذه الملكيات.

الإسلام والاشتراكية :

هذا ولم يزعم زاعم - مهما كان - أن الإسلام والشيوعية قد يلتقيان، فلم نسمع إلى الآن صوتاً واحداً يقول:
- «إن الإسلام لا يتنافى مع الشيوعية».

إذ أصل الشيوعية هو إنكار الألوهية والدين، وإنما سمعنا أن بعض الناس - وقد يكونون من المنتسبين للإسلام أو للعلم - يزعمون أن الإسلام لا يتنافى مع الاشتراكية، وقد يتعمون عن أن الاشتراكية مذهب خاص، ذاتية هذا المذهب تخالف ذاتية الإسلام في روحه وصورته، كما يتجاهلون أن الإسلام دين الله الحق، قد أتى بجميع ما يسعد الناس في معاشهم ومعادهم.

وأن الرسول ﷺ لم يترك باباً من أبواب الخير إلا دل الناس عليه، ولا باباً من أبواب الشر إلا حذر الناس منه، بيد أنهم يقولون:

إن بعض نصوص القرآن كقوله تعالى: ﴿ كُنْ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾.

وكقول رسول الله ﷺ: «الناس شركاء في ثلاثة: في الماء، والنار، والكلاء». تدل على صحة المذهب الاشتراكي.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جهل هؤلاء بحقيقة الإسلام عموماً، وبمعنى هذه الآية وذلك الحديث خصوصاً؛ فالآية نزلت تشرح مصرف الفيء، وهو نوع خاص له طابع خاص من بين الأموال الإسلامية، وأما الحديث فقد بين موضع الشركة وهو الماء والنار والكلاء.

ولفظ الحديث يدل بمفهومه على أن ما عدا هذه الأشياء الثلاثة من الأشياء التي يمكن أن يملكها الإنسان لا اشتراك فيها، ولو سلمنا جِدلاً أنه قد يفهم من

هذه الأدلة الدلالة على صحة المذهب الاشتراكي - وإن كانت لا تدل بظاهر ألفاظها على ذلك كما أشرنا - فإن صريح الكتاب وصحيح السنة يدل بما لا مجال للشك فيه على حفظ ممتلكات الناس وأموالهم، فليستمعوا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾.

وإلى قول رسول الله ﷺ في حجة الوداع:

« ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ». ثم يؤكد رسول الله ﷺ فيقول: « ألا هل بلغت اللهم فاشهد ».

ولا يختلف اثنان من أهل العلم في صحة حديث رسول الله ﷺ إذ يقول: « من غصب شبراً من أرض طوقه الله بسبع أرضين يوم القيامة » فهذا هو دين الإسلام.

﴿ وَمَنْ يَبْغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.



- القومية -

القومية في الجاهلية - الإسلام:

ظهر الإسلام والعرب في تناحر مميت، وقتال مستمر يأكل قويهم ضعيفهم في غارات لا تنقطع وحروب لا يملونها.

وقد كانوا يثيرون هذه الحروب لأتفه الأسباب كحرب البسوس، وقد كانت هذه الحروب تعمر حتى يصطلي بنارها الأجداد والآباء والأبناء والأحفاد، وحينما أكرم

الله الإنسانية بمحمد ﷺ، فبعثه إليهم رسولاً كان فيما أنزل عليه:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وقد كان من مهمة رسول الله ﷺ دعوة الناس جميعاً إلى الإسلام، ولا فرق بين عربي وأعجمي، فأدى رسول الله ﷺ مهمته على أكمل وجه، وأعلن للعالم أنه:

«لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

وقد حرص رسول الله ﷺ أن يزيل من نفوس العرب جميع سمات الجاهلية من التفاخر بالأباء والتعالي على الناس، وبين أن:

«من دعا إلى عصبية أو أحيا عصبية ثم مات فميتته جاهلية».

وحينما دس بعض اليهود من يثير في صفوف الأنصار ضغائن الجاهلية التي كانت بين الأوس والخزرج، وذهب

هذا اليهودي وألقى بعض الأشعار التي كانت قد قيلت في الحروب بينهم أيام الجاهلية، فثار الحيان - الأوس والخزرج - وهما بالقتال وتواعدوا الحرة.

وحينما علم بذلك رسول الله ﷺ جاءهم وخطبهم، وأشار إلى أن هذه دعوة الجاهلية، فبكوا ورشدوا، وأنزل الله تعالى في ذلك:

﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكُتُبِ لِمَ تُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بَعَّوْنَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَهُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

ولما حدث مرة نزاع بين غلام للأنصار و غلام
للمهاجرين ونادى الغلام الأنصاري:

- يا للأنصار!

ونادى الغلام المهاجري:

- يا للمهاجرين!

وسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال:

«دعوها فإنها منتنة».

وفقه المسلمون الأولون هذه الحقيقة، وأشربت قلوبهم
روح الإسلام، فكان المنتسب يفتخر بإسلامه لا بنسبه
وأبائه حتى قال قائلهم:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم



بداية ظهور الشعبوية والقومية :

وفي بعض أوقات ضعف المسلمين ظهرت بعض الدعوات (الشعبوية) التي تفتخر بأنسابها أو أوطانها، وقد لقيت هذه الدعوات إنكار أهل العلم فلم تحظ بالحياة إلى زمن طويل.

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وحينما تكالبت أوروبا (النصرانية) في سعيها الحثيث للقضاء على الإسلام بعد فشلها في الحروب الصليبية، وحينما عرف الأوروبيون أن طريق الحرب السافرة ضد الإسلام لا تزيد المسلمين إلا استمساكاً بدينهم ودفاعاً عن بيضتهم.. فكر كثير من قادة النصرانية في حيل شتى لتمزيق شمل المسلمين، وتفريق كلمتهم وقطع أوصالهم والقضاء على (الخلافة) الإسلامية. ورأوا أن أخطر ما يمكن أن يضرب به الإسلام هو الحملة العنيفة للقضاء على (الخلافة العثمانية).

فتواطأت أوروبا على ما أسمته (تركة الرجل المريض)

وكان من أبرز حيلهم في هذا السبيل هو أن يقوم دعاة النصرانية في البلاد العربية التي فتحت أبوابها لهم وعلى الأخص «سوريا ولبنان» .. أن يقوم هؤلاء الدعاة النصارى بالإيعاز إلى بعض الأفراد بالدعوة إلى القومية العربية ليهيجوهم ضد الحكم التركي الذي كان يقض مضاجع أوروبا.

ونجحت هذه الفكرة الصليبية، فراجت على بعض العرب ممن لم يفقهوا حقيقة الإسلام.

وراح دعاة النصارى يضعون الخطط لنشر هذه الدعوة الجديدة في عامة البلاد العربية، وعقدوا في (باريس) أول مؤتمر للقومية العربية عام ١٩١٠ الميلادي.

وقد نجح دعاة النصرانية في الترويج للقومية العربية حتى وقع فيها كثير من الناس، وصارت بعض الحكومات الانقلابية لا همَّ لها ولا غرض إلا الدعوة إلى القومية العربية واتخذت ذلك شعاراً يعد من أبرز شعاراتها.

وزعمت فيما زعمت أن الدعوة إلى القومية العربية تنتهي إذا نجحت بتوحيد كلمة العرب حتى يكونوا قوة قوية في وجه الاستعمار.

وقد صرح هؤلاء مراراً وتكراراً أن الدعوة إلى (القومية العربية) تقضي على جميع النزعات (الطائفية والدينية)، فلا فرق في هذه القومية بين مسلم ويهودي ونصراني ومجوسي وملحد ما داموا مندمجين في القومية العربية.

وهذا لا شك كفر صريح بالأديان كلها وخاصة الإسلام. على أنه مع كثرة هؤلاء الدعاة - لا كثرة الله - فإننا إلى الآن لم نقف على تعريف مميز لحقيقة القومية العربية:

فبعض دعائها يعرفها بأنها: الوطن والنسب واللغة العربية. وبعضهم يجعل قوامها الوطن، ويحده من الخليج إلى المحيط.

وبعضهم يجعل قوامها النسب وحده.

وبعضهم يجعل قوامها اللغة وحدها.

وقد صرح أخيراً أحد رؤساء الوزارات الانقلابية بأن القومية العربية ما هي إلا (مذهب اقتصادي) محض لا دخل له في نسب ولا لغة، ولعل الذي حمله على ذلك وجود فئة كبيرة من الأعاجم تنازعهم السلطان.

وبعضهم يقول: إن القومية العربية هي المشاركة في الآلام والآمال.

فعلى تعريف القومية بالوطن العربي يصبح لكل متوطن في إقليم من أقاليم الوطن العربي الحق في الانتماء إلى القومية العربية.

فاليهود - مثلاً - الذين اغتصبوا أرض فلسطين وأخرجوا منها أهلها واستوطنوا هذه الأرض العربية يمكن لهم أن يدعوا أنهم داخلون في مسمى القومية العربية كذلك.

ولعل هذا هو الذي يريده بعض دعاة القومية العربية ومن أجله يدندنون حولها.

- الخاتمة -

ونظرة - ولو عابرة - إلى هذه التعاريف تدل على أن هؤلاء الدعاة يخوضون في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وختام المسك في ذلك قول فاطر السموات والأرض المنزل على أكمل خلق الله ﷺ :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



عبد القادر شيبه الحمد